

سورة الضحى

(دراسة فى التفسير الموضوعى)

أ. معنوقة محمد حسن زيد الحسانى (*)

بين يدى السورة

١- نوع وعدد الآيات

السورة مكية من المفصل ، وعدد آياتها ١١ ، وترتيبها ٩٣ فى المصحف الشريف ، ونزلت بعد سورة الفجر (١) .

٢- محور السورة وما اشتملت عليه من موضوعات

يدور محور السورة حول شخصية النبى الكريم ﷺ وما حباه الله به من الفضل والإنعام فى الدنيا والآخرة ؛ ليشكر الله على تلك النعم الجليلة ، وما حباه الله به من لمسة الرحمة والود ، لسكب الطمأنينة واليقين على قلب رسول الله ﷺ (٢) .

٣- سبب التسمية

وأسماء السور إما أن تكون بأوصافها ، أو بالإضافة إلى شىء اختصت به ؛ فسميت هذه السورة فى أكثر المصاحف ، وفى كثير من كتب التفسير ، وفى جامع الترمذى (سورة والضحى) بدون الواو "وسميت فى كثير من التفاسير وفى صحيح البخارى (سورة الضحى) بإثبات الواو . ولم يبلغنا عن الصحابة خبر صحيح فى تسميتها (٣) .

(*) باحثة بالسنة المنهجية بكلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .
(١) انظر : الطبرى ، جامع البيان فى تفسير أى القرآن ، ٢٢٩/٣٠ السيوطى المنثور ٥٣٩/٨ والمراعى ، تفسير المراعى ١٨٢/١٠ . والألوسى ، روح المعانى ، ١٥٣/٣٠ .
(٢) انظر : سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، ٣٩٢٥/٦ .
(٣) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٣٩٣/٣٠ .

٤ - سبب نزولها

ورد في سبب نزول هذه السورة روايات كثيرة ، منها ما أخرج البخاري من حديث جندب بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : احتبس جبريل ، عليه السلام ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت امرأة من قريش : أبطأ عليه شيطانه فنزلت ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (١) . وفي رواية أخرى قال الأسود بن قيس : سمعت جندب بن سفيان قال : "اشتكى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . (٢) وفي رواية أخرى عن شعبة عن الأسود بن قيس قال : سمعت جندباً البجلي : قالت امرأة : يا رسول الله ، ما أرى صاحبك إلا أبطأك ، فنزلت : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٣) .

وقال زيد بن أسلم (٤) : كان احتباس جبريل ، عليه السلام ، عن كون جزؤ في بيته ، فلما نزل عاتبه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على إبطائه ، فقال : إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة . (٥) وهذه الرواية وإن كانت مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ غريب ، بل شاذ ، مردود بما في الصحيح والله أعلم (٦) ؛ لكن الملاحظ أن جميع الروايات يدور موضوعها حول احتباس نزول الوحي عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وفتوره عنه لفترة من الزمن ، والله أعلم بالمراد .

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، باب ترك القيام للمريض ٣٧٨/١ رقم ١٠٧٣ .

(٢) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، باب تفسير سورة الضحى ١٨٩٢/٤ رقم ٤٦٦٧ .

(٣) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، باب تفسير سورة الضحى ١٨٩٢/٤ رقم ٤٦٦٨ .

(٤) انظر : البغوى ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٥٨٧/٥ .

(٥) مسند الامام أحمد ١٤٨/١ والترغيب والترهيب ٦٨/٤-٦٩ .

(٦) انظر : ابن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١٢٠/٨ .

٥- مناسبة السورة لما قبلها

لما ذكر سبحانه وتعالى فيما قبلها (وسيجنبها الأتقى) ^(١) وكان سيد المتقين رسول الله ﷺ ، عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه عليه ، ﷺ ^(٢) .

موضوعات السورة

١- القسم في السورة . الآيات (١-٣)

* قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

أقسم ربنا ، جل ثناؤه ، بالضحى وهو النهار كله ، وقيل : عنى به وقت الضحى ، وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس ، واعتدال النهار فى الحر والبرد ، والصيف والشتاء .

وقوله (والليل إذا سجدى) اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم : معناه والليل إذا أقبل بظلامه ، عن ابن عباس ، والليل إذا سجدى يقول : والليل إذا أقبل .

وقد ذكر أهل اللغة فى (سجدى) ثلاثة أوجه متقاربة : سكن وأظلم وغطى ^(٣) .

واعلم أن أقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة ، فقال ابن عباس : غطى الدنيا بالظلمة .

وقال الحسن : ألبس الناس ظلامه

وقال ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير : إذا أقبل الليل غطى كل شىء ،

وقال مجاهد وقتادة والسدى وابن زيد : سكن بالناس ، ولسكونه معنيان :

أحدهما : سكن الناس ، فنسب إليه كما يقال ليل نائم ونهار صائم ، وهو معنى مجازى .

(١) العاشية ، آية : ١٧ .

(٢) انظر : أبا حيان ، البحر المحيط ٤٨٠/٨ والأكوسى ، روح المعانى ١٥٣/٣٠ .

(٣) انظر : الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ٢٣٠-٢٢٩/٣٠ وتفسير البغوى ، معالم التنزيل ٥٨٧/٥ .

والثانى : هو أن سكونه عبارة عن استقرار ظلامه^(١) وهو معنى حقيقى .

"وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال معناه والليل إذا سكن بأهله وثبت بظلامه ، كما يقال بحر ساج إذا كان ساكنا"^(٢) .

فلما ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بوقت الضحى ، وبوقت الليل ، كان ذلك إشارة على أن هذين الوقتين هما وقت نزول الوحي ، ووقت توقفه ، فنزول الوحي كالضحى شروق دائم على قلب رسول الله ﷺ وعلى أمته حينذاك ؛ فهو شروق وسطوح شمس فى قلب النهار ، وتوقفه كالليل ظلام واستيحاش على قلب رسول الله ﷺ .^(٣) ويتضح من ذلك أن إنزال الوحي بالرسالة ، وانقطاعه ليس بهوى ولا لقلى ؛ بل هو لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى فالزم تعالى نفسه بالقسم بأنه ما ودع محمدا ولا قلاه .

وخص وقت الضحى بالذكر ؛ لأنه وقت اجتماع الناس وبه يكمل الأنس بعد استيحاش الليل ؛ فكذا كان حال الرسول ، عند احتباس الوحي ، استيحاشا ، وعند نزوله ضحى كمل به أنسه .

"والسبب فى أنه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار ، وذكر الليل بكليته ؟ أن ذلك فيه من المعانى الكثير

فأحدها : أنه إشارة إلى أن ساعة من النهار توازى جميع الليل ، كما أن محمدا إذا وزن يوازى جميع الأنبياء .

وثانيها : أن النهار وقت السرور والراحة ، والليل وقت الوحشة والغم ، فهو إشارة إلى أن هموم الدنيا أدوم من سرور ، فإن الضحى ساعة والليل كذا ساعات .

وثالثها : أن وقت الضحى وقت حركة الناس وتعارفهم ، فصارت نظير وقت الحشر ، والليل إذا سكن نظير سكون الناس فى ظلمة القبور ، فكلاهما حكمة ونعمة ؛

(١) انظر : الرازى ، التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ، ١٨٨/٣١ .

(٢) انظر : الطبرى ، جامع البيان فى تفسير أى القرآن ٢٢٩/٣٠ - ٢٣٠ والبغوى ، معالم التنزيل ٥٨٦/٥ .

(٣) انظر : الغزالي ، نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم ، ص ٥٢٤ .

لكن الفضيلة للحياة على الموت ، ولما بعد الموت على ما قبله ؛ فهذا السبب
قدم ذكر الضحى على ذكر الليل .

ورابعها : ذكر الضحى حتى لا يحصل اليأس من روحه ، ثم عقبه بالليل حتى لا
يحصل الأمن من مكره^(١) .

قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾

هذا جواب القسم ، أى : ما تركك منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك^(٢) .

و(ودعك) من التوديع ، كما يودع المفارق ، والتوديع مبالغة فى الوداع ؛
لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ فى تركك^(٣) .

وقد قرنت بالتشديد والتخفيف ، وترجحت قراءة الجمهور بالتشديد من
(ودعك) من التوديع . وذلك ؛ لأن (ودع) بمعنى ترك فيها شدة وشبه جفوة وقطعية ،
وهذا لا يليق بمقام المصطفى ، ﷺ ، عند ربه . أما المودعة والوداع ، فقد يكون مع
المودة والصلة ، كما يكون بين المحبين عند الافتراق ، فهو وإن ودعه بجسمه فإنه لم
يودعه بحبه وعطفه ، ما ودعك بصيغة الماضى ، وهو كذلك للمستقبل ، بدليل الواقع
وبدليل ﴿ وَتَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ، لأنها تدل على مواصلة عناية الله به حتى
يصل إلى الآخرة فيجدها خيراً له من الأولى ، فيكون ما بين ذلك كله فى عناية
ورعاية ربه . فهو ، سبحانه ، لم يقطعه ولم يبغضه منذ أحبه ، .

تأملات :

فى الآيات أقسم - سبحانه - بالضحى ، والليل إذا سجد على إنعامه على
رسوله ، وإكرامه له ، وإعطائه ما يُرضيه ، وذلك متضمّن لتصديقه له ، فهو قسم
على صحة نبوته ، وعلى جزائه فى الآخرة ، فهو قَسَمَ على النبوة والمعاد .

(١) انظر : الرازى ، التفسير الكبير ١٨٨/٣١ - ١٨٩ .

(٢) انظر : البغوى معلم التنزيل ٥٨٨/٥ .

(٣) انظر : الرازى ، التفسير الكبير ، ٢١٠/١٦ والشنقيطى ، أضواء البيان ٥٦٦/٨ .

وأقسم بأيتين عظيمتين من آياته ، دالتين على ربوبيته ، وحكمته ، ورحمته ؛ وهما : الليل والنهار . فتأمل مطابقة هذا القسم - وهو : نور الضحى الذى يوافق بعد ظلام الليل - للمقسم عليه - وهو : نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : ودع محمدًا ربه ؛ فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل ، على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

وأيضًا : فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذى فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحى والنبوة ؛ فهذان للحس ، وهذان للعقل .

وأيضًا : فإن الذى اقتضت رحمته ألا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمدًا ، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعاشهم ؛ لا يليق به أن يتركهم فى ظلمة الجهل والغى ، بل يهديهم بنور الوحى والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم (١) .

وعلى هذا فيكون الضحى رسالته ، ﷺ وحصول الاستئناس بنور علمه وإقبال الاسلام ، وبكمال العقل لاتباع منهج الله .

والليل زمن احتباس الوحى ؛ لأن به يحصل الاستيحاش والغربة (٢) .

- إن تأخير الوحى كان لحكمة اقتضاها الله ، سبحانه ، وتعالى ، لا لقصده تركه أصلاً .

- فى الآيات إشارة إلى أن القرآن من عند الله سبحانه ، لا كما يدعيه الأعداء أنه من

لدى ، محمد ﷺ ، فلو كان من عنده لما تأخر نزول نوحى عليه ﷺ .

- الآيات فيها من الإيناس واللطف وإزالة الوحشة والتبشير لرسولنا ﷺ .

- يوجه الله تعالى المسلمين لأدب الكلام ، ويعلمنا كيف نخاطب الذين نجلهم ونحترمهم .

لمسات بيانية :

"إن الضحى سررت إشراق الشمس ، أما النهار فبؤ كل الوقت من أول النهار إلى آخره ، والضحى يمثل وقت ابتداء حركة الناس يقابله الليل إذا سجد وهو

(١) انظر : ابن القيم ، التبيان فى أقسام القرآن ٤٦/١ .

(٢) انظر : الرازى ، التفسير الكبير ١٩٠/٣١ بتصرف .

وقت السكون والراحة . ولا يكون هناك ضوء بعد أو نور كوقت الضحى بعد شروق الشمس .

وكذلك سبق القول : إن من معانى (سجا) : سكن وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه وهذا هو السكون ، والانقطاع ظلمة ، وهذا المعنى الثانى (لسجا) فكلمة (سجا) جمعت المعانى كلها التى تدل على انقطاع الوحي وسكونه . وعليه فإن القسم بـ (والضحى والليل إذا سجي) هو أنسب قسم للحالة التى هو فيها من نور الوحي وانقطاعه ؛ وكل قسم فى القرآن له علاقة بالمقسم به^(١) .

إن استهلال السورة بالقسم بالواو يحمل معنى التعظيم للمقسم به^(٢) . قال ابن القيم : "إقسامه تعالى ببعض مخلوقاته ، دليل على أنها من عظيم آياته"^(٣) .

فالقسم بالواو له معنى بيانى وهو لفت الأنظار إلى أمور مدركة حسيا ؛ فكل قسم بالواو فى القرآن الكريم يأتى بعده صور حسية مدركة وواقع مشهود . فالمقسم به فى آيتى الضحى صورة مادية وواقع حسى يشهد فيه الناس فى كل يوم تألق الضوء فى ضحوة النهار ، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن ، فبعد تألق الضوء فى ضحى النهار ، فأى عجب أن يجيء بعده الوحي وتجلي نوره على المصطفى ﷺ ، فترة سكون يفتقر فيها الوحي ، على نحو ما نشهد من الليل الساجى ، يوافق بعد الضحى المتألق^(٤) .

ويقول الدكتور نعيم الوافى :

'نسبى هذه الواو بالواو البيانية ، وذلك : أن الله تعالى ، جلت قدرته ، يلفت نظرنا بهذه الواو البيانية إلى حقيقتين إحداهما مادية ، وأخرهما معنوية ، وعلينا أن نثبت ونؤكد ونعتقد بالحقيقة المعنوية من خلال فهمنا للحقيقة المادية وكل من يستقرى

(١) انظر : فاضل السامرائى ، لمسات بيانية فى بعض نصوص التنزيل ١٥٦-١٥٧ بتصرف .

(٢) انظر : عائشة بنت الشاطى ، التفسير البيانى للقرآن ٢٤/١ .

(٣) انظر : ابن القيم ، المصدر السابق ، ص ١ .

(٤) انظر : التفسير البيانى ، مصدر سابق ٢٦/١ .

تركيب القسم بالواو البيانية سينتهي إلى وجود مشهدين بعد الواو ، مشهد مادي يعقبه مشهد معنوي؛ فمشهد تعاقب الضحى الألق بعد الليل الساجي ، تعاقب مادي ملموس ، وحقيقة مادية مرئية ومشاهدة ، يعقب هذه الحقيقة المادية حقيقة معنوية أخرى هي وداع الله لرسوله وعدم بغضه له ، وأن تعاقب القرب والبعد تعاقب الاتصال والانفصال تعاقب فتور الوحي وزخمه إنما هو أمر عادي وهو أمر معنوي (١) .

الذكر والحذف للكاف في (ودعك - وقلی) :

وفي حذف الكاف في (قلی) وجوه أحدها : حذفت الكاف لكتفاء بالكاف الأولى في ودعك ، ولأن رؤس الآيات بالياء ، فناسب اتفاق الفواصل حذف الكاف وثانيها : فائدة الإطلاق أنه ما فلاك ولا (قلی) أحدا من أصحابك . ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة ، تقريراً لقوله : (المرء مع من أحب) (٢) وثالثها : من قال أن الحذف للاختصار (٣) .

وقيل : إن حذف المفعول في (قلی) له وجهان :

الأول : شعوري أو نفسي

الثاني : فني أو جمالي

فذكر المفعول به مع الفعل "ودع" ، وحذف المفعول به مع الفعل "قلی" جاء لأمر شكلي فني جمالي هو تناسب فواصل الآيات ؛ سجي .. قلی .. ، ولكن في ضوء لمسة الحنان والحساسية المعنوية المرهفة البالغة في اللطف والإناس لإطار النص النفسي كله لا يمكن للقرآن أن ينسب البعض إلى الله ، ولا يمكن أن يقطع

(١) الدكتور : نعيم الولى ، شبكة التفسير والدراسات القرآنية ، ملتقى أهل التفسير ، القسم العام ، نظرة بلاغية

في سورة الضحى .

(٢) انظر : الرزى ، التفسير الكبير ١٩٠/٣١ وأبا السعود ، إرشاد العقل السليم ١٦٩/٩ والنيسابورى ،

غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥١٦/٦ .

(٣) انظر : الزمخشري ، الكشاف ٧٧١/٤ وأبا حيان ، البحر المحيط ٤٨١/٨ .

الصلة بين محمد وربه ، فلو قال : وما فلاك ؛ فمعنى ذلك أن ثمة صلة مقطوعة بين الكاف والفعل وأن التواجه موجود بين محمد وربه ، بحذف الكاف أى بحذف المفعول به انتفى الانقطاع وبقيت الصلة دائمة بين محمد ﷺ والله تعالى. وهذه الصورة الشعورية إنما هي عكس الواقع النفسى الذى كان يحياه الرسول ونفى لإمكان التباعد بين الرب والعبد ، بل تحقيق للصلة الدائمة بينهما ، فإذا ما أضفنا إلى ذلك الناحية الشكلية .. الإيقاعية .. الجمالية فى تناسب رؤوس الآى أدر كنا مبلغ الإعجاز فى هذا الذكر والحذف مع ؛ الذكر فى : ودُّعك ، والحذف فى : قلى (١) .

لذلك قالوا إن الذكر من باب التكريم والحذف من باب التكريم أيضا . فلم يقل الله تعالى فلاك لرسوله الكريم حتى لا ينسب الجفاء للرسول ، ﷺ ، فلا يقال للذى نحب ونجل ما أهنتك ولا شتمتك ؛ إنما من باب أدب المخاطبة يقال : ما أهنت وما شتمت ، فيحذف المفعول به إكراما للشخص المخاطب وتقديرا لمنزلته ، وترفعنا عن ذكر ما يشينه ولو كان بالنفى .

أما التوديع فالذكر فيه تكريم للمخاطب فيحسن ذكر المفعول مع أفعال التكريم وحذفه مع أفعال السوء ولو بالنفى . وهكذا يوجه الله تعالى المسلمين لأدب الكلام ، ويعلمنا كيف نخاطب الذين نجلهم ونحترمهم . ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسول من ربه مرتين : مرة بذكر المفعول مع فعل التوديع ، ومرة بحذف المفعول مع الفعل "قلى" (٢) .

فلماذا قال تعالى "ربك" ولم يقل "الله" ؟

هنا تكريم آخر من الله تعالى لرسوله . فالرب هو المربى والموجه والقسيم . وذكر الفاعل وهو الرب إكرام آخر فلم يقل لم تودع ولم تقلى . والرب هو القيم على الأمر فكيف يودعك وهو ربك ؛ لا يمكن أن يودع الرب عبده ، كما لا يمكن لرب البيت أن يودعه ويتركه ، ورب الشيء لا يودعه ولا يتركه ، وإنما يحرص

(١) انظر : نعيم الواقى ، المصدر السابق . والتفسير البيانى ٣٥/١ بتصرف .

(٢) انظر : فاضل السامرائى ، لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل ، ص ١٥٧ .

عليه . واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله لأن لفظ الجلالة الله كلمة عامة للناس جميعا ، ولكن كلمة "الرب" لها خصوصية ، وهذا يحمل التطمين للرسول الكريم من ربه الذي يرعاه ولا يمكن أن يودعه أو يتركه أبداً .

من هداية ولطائف الآيات :

وفي القرآن انكريم وفي هذه الآيات الكريمة إشارات لطيفة إلى قيمة الزمن وأهميته في حياة الإنسان ، وحض على الاستفادة منه بعيداً عن الغفلة والتسويق فالقرآن الكريم نوه بشرف الزمن وفضله ، وفي هذا ما يدعونا إلى ضرورة تقديره بقدره ، لأن ذلك يساعد على الفلاح ويهين للنجاح ، وعلى العكس تماماً فإن إغفال الزمن وعدم إعطائه الأهمية اللازمة ، فيه تقريط بهذه النعمة ، وتحقيق لتعاسة الإنسان .

وما يدل على عظيم أهمية الزمن في القرآن الكريم ، قسم الله سبحانه وتعالى به ، فهو سبحانه قد أقسم بعدة أمور في كتابة الكريم ، ولا شك أن الله لا يقسم بشيء إلا إذا كان هذا الشيء عظيماً ، فقد أقسم سبحانه بنفسه^(١) ، وبالقرآن^(٢) ، وبالزمن سواء بذاته أو بأجزائه ، وفي ذلك تنبيه على أنه آية كبرى من آيات الله ، وتنبيه على عظم نفعه ووجوب استغلاله ، والإفادة من كل أجزائه^(٣) (٤) .

وفي القسم بهذه الوحدات الزمنية تنبيه على الاعتبار بها في الاستدلال على حكمة نظم الله في هذا الكون وبداع قدرته^(٥) . ولهذا سلك طائفة من العلماء طريق الاستدلال بالزمن على الصانع ، وهو كما يقول ابن القيم : "استدلال صحيح ، قد نبه عليه القرآن في غير موضع"^(٦) .

-
- (١) قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [سورة الذاريات : الآية ٢٣] .
(٢) قال تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [سورة ق : الآية ١] .
(٣) انظر : عبد الستار نوير : الوقت هو الحياة ص ١٤-١٥ . وانظر هذا المعنى في : القرضاوى : الوقت في حياة المسلم ، ص ٥ وخلدون الأحنب : سوانح وتأملات في قيمة الزمن ، ص ١٨ .
(٤) انظر : لمسات بيانية ، ص ١٥ .
(٥) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٣٨٧/٣٠ .
(٦) انظر : ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن ، ص ٤٠ .

ومما يدل على ذلك إلقاء نظرة على السور القرآنية التي أقسم الله فيها بالزمن ووحداته ، عندها سنجد أنها سور مكية ، والسور المكية - كما نعلم - تركز على العقيدة بشكل خاص ، ومن ذلك الاستدلال على وجود الخالق ، ومن هنا جاء القسم بالزمن في السور المكية من أجل لفت الأنظار إليه باعتباره دليلاً واضحاً ، وبرهاناً قاطعاً ، على وجود الخالق ، وعلى بديع حكمته سبحانه في هذا الكون (١) .

وبعد هذا فالزمن ذو قيمة عظيمة ، فهو أثمن وأنفس ما يملك الإنسان ، لأن أعز شيء لدى الإنسان وهو عمره وحياته ، ما هو في الحقيقة إلا زمن .
لذلك عنى القرآن الكريم بالزمن ، فعده من النعم العظيمة ، وعده من الآيات الدالة على وجود الله ، كما أشار القرآن الكريم إلى قيمة الزمن ، وحث على استثماره في الخير في كثير من آيات القرآن الكريم .

٢-المبشرات لرسوله الآيات (٤-٥)

قوله تعالى : ﴿ وَتَأَخَّرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَكَسَوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

في الآية الكريمة معنيان محتملان كلاهما صواب فالأول : يريد الدارين ، والثاني : يريد حالتيه قبل نزول السورة وبعدها ، ووعده تعالى بالنصر والظفر ، فلما نفى سبحانه التوذيغ والقلبي عن رسوله الكريم ، ﷺ ، وواصل حبيبه بالوحي ؛ ولا كرامة أعظم من ذلك ، ولا نعمة أجل منه ، أخبره سبحانه أن حاله في الآخرة كذلك أعظم من ذلك وأجل ، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله ، وشهادة أمته على سائر الأمم ، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته ، لذلك كان عز الآخرة خير من عز الدنيا ؛ لأن عز الدنيا يفنى ، وعز الآخرة يبقى (٢) .

إن هذه الآية وما حولها من ظروف كانت تحيط بالرسول ، ﷺ ، تعنى : أن غدك يا محمد سيكون أفضل من يومك الحالي ، ومستقبلك أفضل من وقتك الحالي ..

(١) انظر : السامرائي ، لمسات بيانية في بعض نصوص التنزيل ، ص ١٢-١٣ .

(٢) انظر : أبا حيان ، البحر المحيط ٤/٤٨١ والسمرقندي ، بحر العلوم ، ٣/٥٦٧ .

والتاريخ يشهد بأن هذا هو ما حصل فعلاً . ففي كل يوم كان نجمه يرتفع ، ودعوته تتوسع . وكان كل يوم أفضل من سابقه وأكثر بريقا وألوانا . كانت الآيات والسور بعد هذا اليوم تقوم على الدوام بتقديم البشائر له . فمثلاً قوله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وقوله ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ . كانت أمثال هذه السور مصدر أمل كبير لرسولنا ، ﷺ . وكيف لا تكون ونحن حتى في هذه الأيام عندما نقرأ (والعاديات) تظهر أمام أعيننا صورة الخيول اللاهثة التي تثير الغبار ، وتتقدح الشرارات من تحت أقدامها ، أو صورة الدبابات والطائرات الحديثة وكأن الروح المحمدى قد انتصب أمام أعيننا . وللآخرة تعنى الغد بالنسبة لليوم ، والحال القادمة بالنسبة للحال الحاضرة ، وبشارة بالرحمة الشاملة واللفظ الواسع القادم بالنسبة للضييق الحال واللفظ النسبي الحال . فهذه الآية تذكر له وتعهده بأن أيام نبوته الأولى في مكة التي اتسمت بالضييق ستفرج نوعاً ما في المدينة وستتسع محيطها ، وأن المشكلات والصعاب الظاهرية والشكلية ستقلب إلى نعمة .. وهكذا تتم بشارته هو أولاً باعتباره الرسول الفذ والفريد في مستوى الكون والزمان ، ثم بشارة أصحابه والمنتسبين إلى دعوته ثانياً .

أجل ... فالبشارة له ولأصحابه وللمنتسبين الأوفياء لدعوته . وعند ذكر ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ فهي بشارة لأمته كذلك بأنها ستقلب إلى حال أفضل ، ومن الخير النسبي إلى الخير الحقيقي ، ومن الإيمان إلى العمل ، ومن العمل إلى الإحسان ، ومن الضيق إلى الفرج ، وأخيراً البشارة بأن الآخرة الحقيقية المتمثلة بالجنة والمنتهى برؤية الله تعالى ستكون أفضل من كل ما عداها (١) .

وهذا حال رسولنا تمنى آخرة صافية ودنيا خالية من العوارض ، فقد كان ، ﷺ ، عاقبه أمره خيراً من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة (٢) .

(١) انظر : أبا السعود ، إرشاد العقل السليم ١٦٩/١ الألوسى ، روح المعاني ١٥٨/٣٠ .

(٢) محمد فتح الله كولن ، أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، موقع فتح الله كولن .

يقول ابن تيمية : "إن الآخرة للنبي ﷺ خير له من الأولى ، وهذا فى حق
المتقين أجمعين ، ولكن رسول الله ﷺ هو أتقى الناس ، وأبرهم ، وأخشاهم لله ،
وأعلمهم ؛ فله الحظ الأوفر يوم القيامة .

ولهذا ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى ؓ أن النبى ﷺ ،
خطب فقال : "إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ،
فبكى أبو بكر الصديق ؓ فعجب له الصحابة ؛ كيف يخبر النبى ﷺ عن عبد
خير فيبكى ، قال أبو سعيد : فكان المخير هو رسول الله ﷺ وكان أبو بكر
أعلمنا" (١) .

فلأن النبى ﷺ موقن يقينا جازما أن ما عند الله تعالى خير له اختار ما عند
الله - جل وعلا - ولهذا قال الله - جل وعلا - : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (٢)
وقال - جل وعلا - : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)(٤) .

وما غاض معين فضله وفيض عطائه . فإن ما فى الآخرة من الحسنى
خير مما يعطيك منها فى الدنيا ﴿وَلِآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ .. فهو الخير أولا
وأخيرا (٥) .

*قوله تعالى : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس ، وعلوم
الأولين والآخرين ، وظهور الأمر ، وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره ، عليه
الصلاة والسلام ، وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الحكام المسلمين ، وفشور

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخارى ١٧٧/١ رقم ٤٥٤

(٢) آل عمران ، آية : ١٩٨ .

(٣) الزخرف ، آية : ٣٥ .

(٤) انظر : ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، ٤١٧/١٣ - ٤١٩ .

(٥) انظر : سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٦ .

الدعوة والإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى (١) .

فهو سبحانه يعطيه ثواب طاعته حتى يرضى ، (وسوف) من الله تعالى واقع، ويقال : ﴿ وَكَسُوفٌ يُعْطِيكَ ﴾ الحوض والشفاعة حتى ترضى، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ، ﷺ ، تلا قول الله تعالى فى إبراهيم : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقول عيسى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ فرفع يديه وقال : (اللهم أمتى أمتى) وبكى فقال الله تعالى لجبريل : (اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فسله ما يبكيك) فأتى جبريل النبى ، ﷺ ، فسأله فأخبره فقال الله تعالى لجبريل : (اذهب إلى محمد فقل له : إن الله يقول لك : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك^(٢) .^(٣) والعطاء من الله تعالى عام كما هو ظاهر من الآية الكريمة؛ فهو يعم ما فى الدنيا من القرآن والهدى ، والنصر وكثرة الأتباع ، ورفع ذكره وإعلاء كلمته ، وما يعطيك بعد مماته قال ابن عباس : ألف قصر فى الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وفيها ما يلقى بها^(٤) .

فمثل هذه العاقبة الجميلة واردة بحق كل من عاش حياته ضمن إطار أوامر ربه ونواهيته . المهم هنا ألا يقوم الشخص باستعمال الممنوحات له استعمالاً سيئاً وفى اتجاهات خاطئة . كما أن اللام الموجودة فى "وللاخرة" وكذلك فى "ولسوف" هما لام الابتداء ولكن يحتمل أن يكونا لامي القسم أيضاً . فبعد القسم فى الجملة الأولى على أن الآخرة ستكون خيراً له من الأولى ، تأتى الجملة الثانية وتؤكد أن الله تعالى سيعطيه حتى يرضى . أى أنك ، نتيجة تقلب أيامك بين اللذة والألم ، والحلو والمر ، والمساعدات والمضايقات ، ستنتزع وتبلغ أوج مراتب الكمال بحيث ستجد نفسك بين

(١) انظر : أبا السعود ، إرشاد العقول السليم ١٧٠/٩ .

(٢) صحيح مسلم ، ١/١٩١ رقم ٢٠٢ .

(٣) انظر : السمرقندى ، بحر العلوم ، ٣/٥٦٨ ولقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٥ .

(٤) انظر : ابن القيم ، التبيين فى أقسام القرآن ، ص ٧٣ والرازى ، التفسير الكبير ، ٣١/١٩٣ .

النعم المادية والروحية والفكرية . هناك مدة قصيرة وفترة طبيعية وفطرية فى هذه الأيام الحالية متعلقة بـ "سوف" . ولما كانت سنوات "الأولى" لا تقاس حتى لثوانى "الآخرة" ، إذن فاصبر قليلا فسترى نسام الرضا الإلهى وهى تهب عليك وتحيط بك آنذاك ؛ لا يبقى هناك هم ولا حزن ولا كدر ، لا للمقتدى ولا للمقتدى به ، ولا أى ضرر أو قلق . سيجد المقتدى به - باسمه وباسم أمته - كل ألوان وأنواع الرضا والسعادة ، ويعيش كل مظاهر "النفس الراضية" أما جواب صاحب الأزل والبدء فهو إيصالهم إلى ذرا مراتب "النفس المرضية" حيث تتقلب هنا القطرة إلى بحر والفناء إلى بقاء وخلود ، طبعاً مع المحافظة على وضع النسب بين الأصل وبين الظل . حيث تتجلى هنا حقيقة ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا ﴾ (١) .

تأملات :

- هناك نعم موعودة مستفادة من الواو فى قوله : ﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾
﴿وَأَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ .

- خصوصية الرسول بالخير ، وهذا من قوله (خير لك) .

- تأكيد العطاء وتجده للرسول ﷺ وهذا من قوله ﴿وَأَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ .

- ولنتأمل كيفية التسرية عن الرسول ﷺ بتصور المستقبل الواعد بالبشارة الشاملة، واللفظ الواسع فكلمة (فترضى) فى الآية الكريمة إشارة إلى مقام الرضا على الصورة الآتية : إن الرسول ﷺ ، جاء ، إلى الدنيا فى البداية بمثابة نواة وبمثابة بذرة؛ فكما تنمو البذرة بعدما تزرعها فى التربة ، فتكون نبتة صغيرة ، ثم تنمو وتكبر حتى تغطى السماء ، كذلك وصل الرسول ﷺ بالإرادة والجهد والعزم الذى أعطاه له ربه مقام الرضا الذى كان فى حالة القوة والكمون إلى مقام رضا بالفعل بكفاية لا يتصورها العقل . إذن فإن أخذنا الرضا المطلق فى ﴿وَأَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ بعين الاعتبار يمكن القول بأنه سيصل حتماً إلى مقام الرضا .

(١) انظر : أضواء قرآنية ، المصدر السابق .

والسبب في قولنا بأنه سيصل هو وجود كلمة "ولسوف" . (١) لقد وصل ، ﷺ ،
إلى غاية الرضا بكمال دينه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وهذه جملة يسيرة من عطايا الله - عز وجل - لنبيه ﷺ ساقها إلينا خاتم
المرسلين ، وسيد الخلق أجمعين (٢) :

- فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ
يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا
وَطَهْرًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصِلْ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ
تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَيُبْعَثُ
إِلَى النَّاسِ عَامَةً) (٣) .

- وعن أبي هريرة : أن رسول الله - ﷺ - قال : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ :
أُعْطِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ
طَهْرًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخَتَمَ بِنِ النَّبِيِّينَ) (٤) .

- عن عقبة بن عامر : أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته
على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : (إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ،
وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو
مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم
أن تتنافسوا فيها) (٥) .

(١) المصدر السابق .

(٢) هام الجرف ، موقع الألوكة ، مقالات شرعية .

(٣) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ١٢٨/١ رقم ٣٢٨ .

(٤) صحيح مسلم ٣٧١/١ رقم ٥٢٣ .

(٥) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ٤٥١/١ رقم ١٢٧٩ .

- وعن أنس بن مالك قال : "بينما ذات يوم بين أظهرنا - يريد النبي - ﷺ - إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلنا له : "ما أضحكك يا رسول الله ؟ " ، وقال : (نزلت على أنفأ سورة ؛ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ، ثم قال : (هل تدرون : ما الكوثر ؟) ، قلنا : "الله ورسوله أعلم" ، قال : (فإنه نهر وعنديه ربي في الجنة ، آنيته أكثر من عدد الكواكب ، ترده على أمي فيختلج العبد منهم ، فأقول : يارب إنه من أمي ، فيقول لي : إنك لا تدري ما أحدث بعدك) (١) .

- وعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله - عز وجل - زوى لى الأرض - أو قال : إن ربي زوى لى الأرض - فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمي سيبلغ ما زوى لى منها ، وأنى أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسنة بعامة ، ولا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، وإن ربي - عز وجل - قال : يا محمد ، إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال : من بأقطارها - حتى يكون بعضهم سبى بعضاً ، وإنما أخاف على أمي الأئمة المضلين ، وإذا وضع فى أمي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمي بالمشركين ، حتى تعبد قبائل من أمي الأوثان ، وإنه سيكون فى أمي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى ، ولا تزال طائفة من أمي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله - عز وجل) (٢) .

(١) صحيح مسلم ، ٣٠٠/١ رقم ٤٠٠ .

(٢) سنن أبي داود ، ٩٧/٤ رقم ٥٢٥٢ وسنن الترمذى ، ٤٧٢/٤ رقم ٢١١٧٦ ومسند الإمام أحمد ١٢٣/٤

رقم ١٧١٥٦ قال عنه الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح ابى داود ٨٠١/٣ رقم ٣٥٧٧ .

- وعن واثلة بن الأسقع : أن النبي ﷺ قال : (أعطيتم مكان التوراة السنج ، وأعطيتم مكان الزبور المثين ، وأعطيتم مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل) (١) .

فهذه من بعض ما أعطاه ربه فأرضاه ، فكيف بنا ونحن من اتبعنا دينه ؟
فحرى بنا أن يلقانا عند الحوض وهو راضٍ عنا .

لمسات بيانية (٢) :

قوله : « وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى »

(الآخرة) في سورة الضحى جاءت مقابل (الأولى) ولم تأت مقابل الدنيا ، فلم يقل وللآخرة خير لك من الدنيا . ومعنى الآية أن ما يأتي خير لك أيها الرسول مما مضى ؛ أي من الآن فصاعدًا فيما يستقبل من عمرك هو خير لك من الأولى ، وأكد ذلك باللام في كلمة (ولللآخرة) وقد حصل هذا بالفعل فكل ما استقبل من حياته ، ﷺ ، خير له مما حصل .

* قوله (خير لك من الأولى) ولم يقل (خير لك من الدنيا)

لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة ؛ فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ، ونفى حصول الخير فيما يستقبل من حياته ، ﷺ ، وهذه الآية تؤكد لما سبقها في قوله تعالى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » .

قوله (لك) ولم يقل « وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى »

هذه السورة هي خاصة بالرسول ، ﷺ ، وهو المخاطب المباشر بها ولو قال تعالى : "ولللآخرة خير من الأولى" لما صح هذا القول لأنه سيكون عامًا للناس

(١) مسند الإمام أحمد ١٠٧/٤ والنسائي (المجتبى) ١٣٩/٢ رقم ٩١٥ والطبراني ، المعجم الكبير ٢٥٨/٨ رقم

١٨٦ و ٨٠٠٣ والطيالسي ١٣٦/١ رقم ١٠١٢ قال عنه الأرناؤوط: إسناده حسن ، وقال الألباني :

حسن ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٦٩/٣ رقم ١٤٨٠ .

(٢) انظر : السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ص ١٥٨-١٥٩ .

جميعاً وهذا ما لا يحصل وعندها ستفيد الإطلاق ، ولا يصح على عمومه ، لأن بعض الناس آخرتهم شر لهم من أولاهم ، ولا يصح هذا الكلام على إطلاقه ؛ إنما لابد من أن يخصص المعنى ، وهو للرسول الكريم ﷺ ، بالذات ، ولهذا قال تعالى : **﴿ وَالتَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾** .

قوله **﴿ وَتَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾**

(سوف) دالة على الاستقبال وقد سبق أن قال تعالى : **﴿ وَالتَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾** وهى تدل أيضاً على الاستقبال ، وجاء أيضاً باللام فى (ولسوف) وأكدته بنفس التوكيد باللام فى (وللاخرة) .

لم يحدد العطاء بشيء ما وإنما قال **﴿ وَتَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾** .

لقد أطلق سبحانه العطاء ولم يحدده ، إنما شمل هذا العطاء كل شيء ، ولم يخصه بشيء معين إكراماً للرسول الكريم ﷺ ، وتوسيعاً للعطاء ، وكذلك أطلق فعل الرضا كما أطلق العطاء فجعل العطاء عاماً وجعل الرضا عاماً ، وذكر المعطى أيضاً وهو الرب ، وعلمنا أن نتخيل كيف يكون عطاء الرب ؟ والعطاء على قدر العطاء ، وهذا كله فيه تكريم للرسول كذلك فى إضافة ضمير الخطاب "الكاف" فى (ربك) تكريم آخر للرسول ﷺ .

لماذا اختيار كلمة (فترضى) ؟

اختيار هذه الكلمة بالذات فى غاية الأهمية ؛ فالرضا هو من أجل النعم على الإنسان وهو أساس الاستقرار والطمأنينة وراحة البال ؛ فإن فقد الرضا حلت الهموم والشقاء ودواعى النكد على الإنسان . وإن فقد فى جانب من جوانب الحياة فقد استقراره بقدر ذلك الجانب ولذا جعل الله تعالى الرضا صفة أهل الجنة **﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾** ، **﴿ فَارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾** وعدم الرضا يؤدى إلى الضغط النفسى واليأس وقد يؤدى إلى الانتحار . والتعب مع الرضا راحة ، والراحة من دونه نكد وتعب ، والفقر مع الرضا غنى ، والغنى من دونه فقر ، والحرمان مع عطاء ، والعطاء من دونه حرمان . لذا فإن اختيار الرضا هو اختيار نعمة من أجل

النعمة ، ولها دلالتها فى الحياة عامة وليست خاصة بالرسول ، ﷺ فإذا رضى الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن ، وإن لم يرض حل معه التعب والنكد والهموم والقلق؛ مع كل ما أوتى من وسائل الراحة والاستقرار .

قوله (يعطيك) ولم يقل 'يوثيك'

"الإيتاء" يكون لأمر مادية وغيرها (الملك ، الحكمة ، الذكر) أما العطاء فهو خاص بالمادة . والإيتاء أوسع من العطاء وأعم ، والعطاء مخصص للمال "والإيتاء" قد يشمل النزاع ، "والعطاء" لا يشمل النزاع . ﴿ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا ﴾ (يوتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء) وقد لا يستوجب الإيتاء لشخص ما أن يتصرف بما أوتى ، أما العطاء فلصاحبه حرية التصرف فيه بالهوب والمنح ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ لأن الكوثر أصبح ملكاً للرسول ﷺ وكما قال الله تعالى لسيدنا سليمان ، ﷺ (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) أى له الحق بالتصرف فيه كما يشاء .

من لطائف وهداية الآيات :

- فى العمل على الآخرة تقرب إلى الله وقدوتنا فى ذلك رسولنا ﷺ .
- الاعتقاد الجازم بالدار الآخرة تقرب إلى الله وقدوتنا فى ذلك رسولنا ﷺ .
- فى الآية للكرامة من معانى الصبر كثير فالرسول ﷺ ، لاقى من عشيرته صنوفاً من الأذى ؛ فقولهم : (فلاك ربك ، وهجرك ، وأبطأ عليك ...) الخ فيها من الإيذاء ما فيها ، ولكنه جاهد نفسه بالصبر ، وأيقن بأن ربه لن يهجره فهو الحبيب المصطفى .
- لا يكون الإنسان مؤمناً خالصاً إلا إن رأى أن النعمة بلاء ، وأن الابتلاء نعمة ؛ ربما أعطاك الله فمنعك ، ومنعك فأعطاك ؛ فأمر المؤمن كله خير .
- محبة ما يصنعه الله بنا هى من حلاوة الايمان .
- الايمان يقينا أن بعد المحن منحا .

- ليست العبرة أن نسلم من كل مصيبة ، العبرة أن نقف الموقف الكامل مع كل مصيبة ، كما كان من الرسول ﷺ عندما فتر عنه الوحي .
 - أكبر عطاء تتاله من الله أن تكون لك مع الله مودة ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (١) ، فالنبي ، عليه الصلاة والسلام ، كان في أعلى درجات سعادته حينما جاءه الوحي ، فلما غاب عنه طويلاً حزن على ذلك حزناً شديداً ، فكان بعد ذلك العطاء الوفير (٢) .

- محمد ﷺ هو أحب الخلق إلى الله تعالى ، ودليل ذلك ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما : "ما خلق الله ولا ذراً ولا براً نفساً أحب إليه من محمد ، وما سمعته أقسم بحياة قط غيره ، ثم قرأ (العمر كإنهم لفي سكرتهم يعمهون) (٣) .

- أكد سبحانه لرسوله ﷺ صفيه وخليله وأنه غير مفارقه ولا تاركة ، تحقيقاً للخلة لرسوله ﷺ ، وذلك بالقسم العظيم يقول له تعالى : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (٤) .

غير أن نبينا الكريم - عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات - زاده ربه بكرمه ومنه تكريماً وتعظيماً فجعله ، ﷺ ، المحبوب المسترضى ..

- يرضيه ربه ، فيعطيه ما أراد من الخير له ولأمته حتى يرضى ﷺ يؤكد له ذلك رب العزة يقول له ﴿ : وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٥) .

- ويمنيه ربه أنه سيرضيه وعداً قاطعاً من رب قادر كريم يعطى الجزيل ، يعد خليفه وهو له محب فيقول له : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (٦) .

(١) مريم ، آية : ٩٦ .

(٢) محمد راتب النابلسي ، دروس من فقه السيرة النبوية ، بتصرف ، موقع إذاعة القرآن نابلس فلسطين .

(٣) انظر : السيوطي ، الدر المنثور ٩٠/٥ .

(٤) مسلم ، بشرح النووي ١٤٧/١٥ - ١٤٨ رقم ٣ .

(٥) الضحى ، آية : ٥ .

(٦) طه ، آية : ١٣٠ .

- ويرضيه ربه ، جل وعلا ، فى أمته فيختار له من بين الأمم أمة الإسلام وهى خير أمة أخرجت للناس .
- ويرضيه ربه ، جل شأنه فى كتابه فيجعل كتابه هو المهيمن الناسخ لساير الكتب سواء ، وحفظه له .
- ويرضيه ربه ، جل جلاله ، فى النبوة فيجعله خاتم النبيين حيث لا نبى بعده ، وخير رسله أجمعين .
- ويرضيه ربه ، عز وجل فى الدين فيجعل دينه المرضى عنده ، بل يجعل دينه هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فقال له ولأمته ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)
- وقال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .
- ويرضيه ربه ، تبارك اسمه فى صحابته وأمته فيرضى عنهم ويرضيههم ، وقد أنزل عليه فيه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) . فماذا أبقى له ربه ، تبارك وتعالى ، مما له به صلة ، إلا وأرضاه ﷺ ، فيه ، فكان ، ﷺ ، هو محبوب الله تعالى المسترضى من ربه الكريم المنان (٥) .

٣- تعدد النعم على رسوله ﷺ ، الآيات (٦-٨)

* قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾

(١) المائدة ، آية : ٣ .

(٢) آل عمران ، آية : ١٩ .

(٣) آل عمران ، آية : ٨٥ .

(٤) التوبة ، آية : ٢٤ .

(٥) عيد الله الزبير ، ورقته فى مقام النبى والتعريف به ، وبحقوقه وما يجب على الأمة عند إيدائه ، مبحث المحبوب المسترضى ، بتصريف ، موقع المشكاة الإسلامية .

(تعبيد وتقرير لما أفاض عليه ، عليه الصلاة والسلام ، من أول أمره إلى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ؛ ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقي الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره ، فأحسن سبحانه تربيته فأواه ورحمه .

واليتيم : الصبي الذي مات أبوه ، وقد كان أبو النبي ﷺ توفي وهو جنين أو في أول المدة من ولادته .

والايواء : مصدر أوى إلى البيت ، إذا رجع إليه ، فالايواء : الإرجاع إلى المسكن . فالمعنى أنشأك على كمال الإدراك والاستقامة وكننت على تربية كاملة ، مع أن شأن الأيتام أن ينشئوا على نقائص ؛ لأنهم لا يجدون من يُعنى بتهدئتهم وتعهد أحوالهم الخلقية . وفي الحديث (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ^(١) فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيراً من تربية الأبوين ، فقد أحيط بتمه ﷺ بالرعاية التامة حتى من قبل من ليس على دينه - عمه أبة طالب .

وفي الآية معنى آخر ، ألا وهو ألم بجدك واحداً في شرفك لا نظير لك ، فأواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوظونك .

قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾

والضلال : عدم الاهتداء إلى الطريق الموصول إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود ، أم وقف حائرًا لا يعرف أى طريق يسلك ، وهو المقصود هنا ؛ لأن المعنى : أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ولا تدري ماذا تتبع من الحق ، فإن الله لما أنشأ رسوله ﷺ على ما أراد من إعداده لتلقى الرسالة في الإبان ، ألهمه أن ما

(١) انظر : ابن تيمية ، "أحاديث القصاص" رقم ٧٨ ، وأورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" رقم والفتن في تذكرة الموضوعات ٨٧ هذا الحديث ضعيف . قال ابن تيمية : لا يعرف له إسناد ثابت ومعناه صحيح ، انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٥/١٨ وضعفه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة . ١٠٢-١٠١/١ .

عليه من الشرك خطأ وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهيأ بذلك لقبول الرسالة عن الله تعالى .

فالمعنى ووجدك غافلاً من الشرائع ، جاهلاً بالنبوة والحكمة وبالكتاب وقراءته ، والدعوة إلى الإيمان التي لا تهتدى إليها العقول ، وهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم ، كقوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية ، وحفظك من أمر وعن أخلاق ثوم ضلال .

نعم لقد نشأ ، ﷺ ، في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد ، منحرفة السلوك والأوضاع ، فلم تطمئن روحه إليها . ولكن لم يكن يجد طريقاً واضحاً مضمناً . لا فيما عند الجاهلية ولا فيما عند اتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا واتحرفوا وتاهوا .. ثم هداه الله بالأمر الذي أوحى به إليه ، وبالمناهج الذي يصله به .

قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾

والعائل : الذي لا مال له ، والفقر يسمى عَيْلَةً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ وقد أغناه الله غنايين : أعظمهما غنى القلب إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا ، وغنى المال حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها .

فالمعنى ووجدك عائلاً فقنعتك وأغنى قلبك ، فجمع له ما بين مقامى الفقير الصابر ، والغنى الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه ، قال عليه الصلاة والسلام (جعل رزقى تحت ظل رمحي ... (١)/(٢) .

(١) مسند : الإمام أحمد ٥٠/٢ . ومسند عبد بن حميد ، ٢٦٧/١ رقم ٨٤٨ ومصنف بن أبي شيبة ٢١٦/٤ رقم ١٩٤٣٧ .

(٢) انظر : أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ١٧٠/٩-١٧١ وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥٢٤/٤ والسمرقندي ، بحر العلوم ، ٥٦٨/٣ والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٩٦/٢٠ وابن عاشور ، التحرير والتنوير ٤٠١-٣٩٩/٣ .

نعم أغناه سبحانه بالقناعة وبالكسب الحلال .

تأملات :

- إن يتمه ، ﷺ ، أسوة فليتأمل ذلك اليتامى ، وليكن دافعا لهم على العمل والجد .
- إن يتم النبي ﷺ من الابتلاءات ؛ فاخْتِيار اليتيم له منذ صغره هو من العيش الشديد، ولكن الابتلاء يربى ، ويعددهم للمهمات .
- يفهم أن الله جل وعلا لحكمة أراد أن يعيش نبيه ﷺ ، يتيمًا حتى تكتمل عليه منة الله ، والله إذا أراد أن يمن على عبدٍ من عباده بشيء جنبه الناس ، فأبراهيم ، عليه الصلاة والسلام قدم ، ولده للقربان ، وقدم جسده للنيران ، وقدم قلبه للرحمن ، فلما همّ قومه بأن يقوه في النار قال : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

- فلنتأمل أنه ، ﷺ ، خرج وليس لأحد من أهل الأرض عليه منة ، صلوات الله وسلامه عليه إلا منة الله ، وهذه منزلة لا ينالها الإنسان إلا إذا بلغ درجة عظيمة في العبودية ، فإن الإنسان إذا تحرر قلبه من غير الله كان أقرب إلى الله ، وكلما تعلق قلبه بأحد غير الله كان أبعد من الله جل وعلا ، ومن أراد الله يرزقه الفلاح الحق الكامل لم يجعل في قلبه أحدا غير ربه تبارك وتعالى ، يحب بحبه ، ويُبغض ببغضه، ويوالي بمواليته ، فإن كان هذا القلب لا يعرف ألا الله جل وعلا في سرائه وضرائه وليله ونهاره وإقامته وسفره كانت رعاية الله جل وعلا به أعظم ، وعنايته به أكمل تبارك وتعالى ، وهذا هو المقصود الأسمى من كونه ، ﷺ ، نشأ يتيمًا لم يرعه أب ، حتى إذا بلغ النبوة نسب الناس نبوته إلى أبيه ، ولم ترعه أمه ، حتى إذا بلغ المجد نسب الناس رعايته وتربيته إلى أمه ، قال الله جل وعلا مُمتنًا عليه :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَعْنَى ﴾ (١) .

- لنتأمل التوجيه الرباني لرسوله ﷺ ، في ألا يجعل للشك مكانا في قلبه ، ويظن بأن من فعل معك كل هذا سوف يتركك ! .

(١) دروس في التعليق على (الدرة المضيئة في السيرة النبوية) لعبد الغنى المقدسى ، تعليق صالح المغامسى باسم الأيام النظرة في شرح السيرة العطرة ، الدرس الأول . موقع الكتروني .

- وردت كلمة (ضال) في القرآن الكريم في أكثر من موضع وبأكثر من معنى : قال
الجوهري في صحاحه : الضلال : ضد الرشاد^(١) .

وقال ابن منظور في لسان العرب : الضلال والضلالة ضد الهدى
والرشاد^(٢) .

قوله تعالى في سورة البقرة "ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل"
فماذا بعد الإيمان إلا الكفر والضلال .

ونضيف إلى هذا المعنى معاني تدور في هذا الفلك :

١- من معاني الضلال الهلاك (الموت) قوله تعالى في (سورة السجدة آية ١٠)
﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

٢- من معاني الضلال : الغواية والانحراف . مثال هذا المعنى قوله تعالى في (سورة
المائدة آية ٧٧) ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

٣- وتعنى كلمة الضلال الوقوع في الخطأ ، كقوله تعالى ينعي على الكفار تخبطهم
في حديثهم مع النبي ﷺ ، ومحاولة تبيئسه من الدعوة ، والتضييق عليه
ليتركها، فوقعوا في أخطاء كبيرة مثال (في سورة الاسراء آية ٤٨) : ﴿ انظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ .

٤- من معاني الضلال النسيان : مثاله قول الله تعالى في آية الدين من (سورة البقرة
آية ٢٨٢) حين يذكر شهادة المرأتين " .. ان تضل إحداهما ، فتذكر إحداهما
الأخرى" ولا يكون التنكير إلا للناسي .

٥- ومن معاني الضلال الخسران وإبطال الثواب : ومن أمثلة ذلك المعنى قوله تعالى
في سورة محمد (آية ٨) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْنَا لَهُمْ وَأَضَلُّ أَعْمَالِهِمْ ﴾ فالكافر

(١) انظر : الجوهري ٢٦/٦ - ٢٧ .

(٢) انظر : ابن منظور ٣٩٠/١١ - ٣٩٤ .

ليس له فى الآخرة نصيب ، وكل عمل لا يقوم على أساس الإيمان ليس لصاحبه خلاق فى الأمن والنجاح يوم القيامة ، وأضل أعمالهم ، أحبطها فخرسوها .

٦- ويأتى الضلال بمعنى الغفلة والجهل بالشىء ، فقد كان الرسول ﷺ قبل الرسالة يبحث عن الحقيقة بقى أن نقول : إن الأصنام لا تضل الناس لأنها لا تعى ولا تعقل ، فكيف تضلهم وتبعدهم عن الطريق القويم فى سورة إبراهيم (آية ٧١) قوله تعالى ﴿ رَبِّ إِنُّهُنَّ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ .. ﴾ إنهم ضلوا وافتتوا بسببها فصارت كأنها هى التى أضلتهم ، فهده الله إليها بعد غفلة عنها وجاهل بها، هذا ما نجده فى قوله تعالى فى سورة الضحى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ .

٧- ويأتى الضلال بمعنى الشقاء ومنه قوله تعالى فى سورة القمر (آية ٢٤) ﴿ إِنَّا إِذَا لَفِئْ ضَلَّالٍ وَسُعْرٍ ﴾ (١) .

٨- ويأتى بمعنى المحبة أى ووجدك محبا للهداية ، فهذاك إليها . ومنه قوله تعالى فى سورة يوسف (آية ٩٥) : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ أى فى محبتك .

قال الشاعر :

هَذَا الضَّلَالُ أَشَابَ مِنِّي الْمَفْرَقَا وَالْعَارِضَيْنِ وَكَمْ أَكُنْ مُتَحَقِّقَا
عَجَبًا لِعِزَّةٍ فِي إِخْتِيَارِ قَطِيعَتِي بَعْدَ الضَّلَالِ فَحَبَلَهَا قَدْ أَخْلَقَا (٢)

٩- ليعلم القاصى والدانى أن الله عز وجل قد زكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقد، زكاه فى عقله فقال سبحانه فى سورة النجم (آية ٢) ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ .

- وزكاه فى صدقه فقال سبحانه فى سورة النجم (آية ٣) : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ .

(١) انظر : الفيروز آبادى ، بصائر ذوى التمييز ٣/٤٨١ - ٤٨٥ .

(٢) انظر : للقرطبي ، الجامع ٩٨/٢٠

- وزكاه فشرح صدره فقال سبحانه في سورة الشرح (آية ١) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ .

- وزكاه في حلمه فقال سبحانه في سورة التوبة (آية ١٢٨) : ﴿ تَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

- وزكاه في خلقه فقال سبحانه في سورة القلم (آية ٤) : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

- وزكاه فرفع ذكره فقال سبحانه في سورة الشرح (آية ٤) : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ .

- أغنى الله سبحانه رسوله وأغنى به أمته قال تعالى في سورة الفتح (آية ٢٠) : ﴿ وَعَنْكُمْ اللَّهُ مَنَّامٌ كَثِيرَةٌ تَأَخُذُونَهَا فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

- كان الآيات يراد ان يقال له فيها ﷺ : "انظر في واقع حالك ، وما ضى حياتك .. هل ودعك ربك ؟ وهل فلاك حتى قبل ان يعهد إليك بهذا الأمر ؟ لم تحط بتمك رعايته ؟ ألم تترك حيرتك هدايته ؟ ألم يضر قرك عطاؤه ؟" (١) .

لمسات بيتية :

حذف المفعول للأفعال (فأوى - فهدى - فأغنى)

فإن الحذف هنا جاء للإطلاق والدلالة على سعة الكرم . فأوى بمعنى فأوك ، وأوى لك ، وأوى بك . وأغناك ، وأغنى لك ، وأغنى بك . وهداك ، وهدى بك ، فلو قال سبحانه وتعالى فوجدك عاتلاً فأغناك لكان اللفظ محصوراً بالرسول ، ﷺ ، فقط ؛ لكن عندما أفاد الإطلاق دل ذلك على أنه سبحانه أغنى رسوله وأغنى به وبتعليمته فيما خص الإنفاق وغيره ، خلقاً كثيراً وأغنى له خلقاً كثيراً وكذلك أوى للرسول ، وأوى به خلقاً كثيراً بتعاليمه للكثيرين ، وتعاليمه كانت تحض على رعاية اليتامى وحسن معاملتهم واللفظ بهم وأوى لأجله للكثير من الناس لان من الناس من يؤوى اليتامى حبا برسول الله وطعما في صحبة الرسول ﷺ ، في الجنة كما ورد في

(١) انظر : سيد قطب في ظلال القرآن ٦/٣٩٢٧ .

الحديث : (أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار إلى إصبعيه ..) (١) وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هدى رسوله الكريم وهدى به خلقاً كثيراً (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم) وهدى له ولأجله من أراد سبحانه وتعالى ، إذن خلاصة القول أن الحذف هنا جاء لظهور المراد وفواصل الآيات ، وسعة الإطلاق ، كلها مجتمعة لا يتعارض احدها مع الآخر . وكذلك تناسب سعة الإطلاق هنا قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ تَنَاسَبَ سَعَةُ الْإِطْلَاقِ هُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَكَأْسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٢) .

لماذا كانت ترتيب الآيات على هذا النحو ؟ ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ .

"هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة . اليتيم يقال لمن فقد والده ، وهو دون سن البلوغ ؛ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتيم ، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشرعي ؛ فهو يحتاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسير في الحياة قبل أن يكون فقيراً أو غنياً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع من غير طريق الهداية هو سحت ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيروا وفق التعاليم التي تعلمهاها بعد البلوغ مباشرة ، وهذا طبيعي ويمر به كل الخلق فهذا هو التسلسل الطبيعي في الحياة . لذا فقد بدأ سبحانه بالحالة الأولى (اليتيم) ثم إذا بلغ تأتي الهداية في المرتبة الثانية ، وثالثاً العائل والغنى يجب أن يسيرا على الهداية" (٣) .

من هداية ولطائف الآيات :

- الاهتمام بحقوق اليتيم الاجتماعية من إيواء ونفقة .
- الأخذ بأيدي انضعفاء عامة لتأمين احتياجاتهم المعيشية .
- قد كان يتمه ﷺ ، تشريفاً لكل يتيم .

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخارى ٢٠٣٢/٥ رقم ٤٩٩٨ .

(٢) انظر : السامرائى ، لمسات بيانية ، ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) انظر : السامرائى ، المصدر السابق .

- حسب الأوصياء أن يعلموا أن اليتيم محمدا ﷺ قد رعاه ربه وتولاه فأواه وهداه .
- العلم بأن الله ، جل وعلا ، هو وحده المنان القادر على أن يهب أعظم ما يجعل العبد عرضة لرحمة الله ونفحاته وعطاياه ومنة الله تبارك وتعالى .
- الأصل في الغنى غنى النفس قال ، ﷺ : (ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس) (١) .
- محمد ، ﷺ ، والأنبياء جميعا معصومون من الضلال ، وما ينسب إليهم في بعض الكتب محض افتراء .
- الآيات فيها إشارة إلى أن الإيواء والهدى والغنى من الله لإسنادها هنا إلى الله تعالى (٢) .

٤- أدب التعامل مع الخلق . الآيات (٩-١١)

قوله تعالى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ
ولما عدد عليه تلك النعم الثلاث ، وصاه بثلاث كأنها مقابلة لها (فلا تقهر) ،
وفيهما أقوال منها : لا تحقر . لا تستنله . لا تظلمه بتضييع ماله . لا تمنعه حقه ،
والقهر هو السليط بما يؤدي (٣) .

فهذا تذكير وتوصية من الله تعالى لنبيه محمد ، باليتيم ألا يقهره ولا يظلمه
فيذهب بحقه استضعافا منه له فتغصمه وتحقره (٤) .

وبالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأن اليتيم ، والتي زادت على العشرين موضعًا ، فإنه يمكن تصنيفها إلى خمسة أبواب كلها تدور حول دفع المضار عنه ، وجلب المصالح له في ماله وفي نفسه ، فهذه أربعة ، وفي الحالة الزوجية ،

(١) الجامع الصحيح المختصر ، للبخارى ٢٣٦٨/٥ رقم ٦٠٨١ .
(٢) انظر : الشنقيطي ، أضواء البيان ٥٦٣/٨ .
(٣) انظر : ابا حيان ، البحر المحيط ٤٨٢/٨ .
(٤) انظر : الطبري ، جامع البيان في تفسير أي القرآن ٢٣٣/٣٠ .

وهي الخامسة^(١) . وهذا نهى من الله جل وعلا لنبيه ﷺ عن قهر اليتيم على أى وجه كان القهر ، سواء بالكلام ، أو بالفعل ، أو بأخذ ماله ، أو بالتسلط عليه ، أو بإيذائه بالأقوال ، فكل ذلك لا يحل ، وهذا النهى وإن كان للنبي - ﷺ - إلا أنه عام لأمته - عليه الصلاة والسلام - فإذا كان - عليه الصلاة والسلام - ينهى عن ذلك ، وهو الذى وصفه ربه - جل وعلا - بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك من لم يكن مثله - ﷺ - بل ولا يدانيه ، وهم أمته - عليه الصلاة والسلام^(٢) .

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾^(٣)

(وَأَمَّا السَّائِلَ) : ظاهره المستعطى ، (فَلَا تَنْهَرْ) : أى تترجره ، لكن أعطه أو رده ردًا جميلاً . وقيل : لا تغلظ عليه ، وهذه فى مقابلة ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ؛ فالسائل ، كما قلنا : المستعطى ، والسائل هنا : السائل عن العلم والدين ، لا سائل المال ، فيكون بإزاء ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ .

و(أما السائل فلا تنهر) يقول : وأما من سألك من ذى حاجة فلا تنهره ، ولكن أطعمه واقض له حاجته^(٤) . أيا كان هذا السائل فلا ينهر ، وعلى هذا فلا مانع من أن يكون النهى شاملا لهذين الصنفين ، فلا ينهر من جاء سائلا عن العلم ، يريد أن يتبصر بدينه ، وكذلك إذا كان سائلا يسأل مالا ، فإن لم يعط فلا ينهر .

إن الجواب بلطف ، قد يقوم مقام العطاء فى إجابة السائل ، وكان ، ﷺ ، إذا لم يجد ما يعطيه للسائل يعده وعدًا حسنًا لحين ميسره ، أخذًا من قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْسُورًا^(٥) ﴾^(٦) .

(١) انظر : الشنقيطى ، أضواء البيان ٥٧٦/٨ .

(٢) انظر : عبد العزيز السعيد ، المكتبة الالكترونية ، تفسير سورة الضحى .

(٣) انظر : إيا حيان ، البحر المحيط ٤٨٢/٨ .

(٤) انظر : الطبرى : المصدر نفسه .

(٥) الاسراء ، آية : ٢٩ .

(٦) انظر : الشنقيطى ، أضواء البيان ، ٥٧١/٨ .

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، معناه بث القرآن ، وبلغ ما أرسلت به .

وقيل النعمة : هي النبوة . وقال آخرون : هي عموم في جميع النعم . وقال
الزمخشري : التحديث بالنعم : شكرها وإشاعتها ، يريد ما ذكره من نعمة الإيواء
والهداية والإغناء وما عدا ذلك (١) . إن العبد إذا أنعم الله ، جل وعلا ، عليه بنعمة في
دينه أو دنياه فإنه يتحدث بها ، ولكن هذا الحديث حديث شكر ، لا حديث فخر ولا
رياء ولا سمعة ، وإنما يتحدث بذلك من باب الشكر لله على ما من به عليه ، ووقفه
وهده إليه من نعمة الدين أو الدنيا ، والنبى ﷺ قد أنعم الله ، جل وعلا ، عليه ؛
فأمره ربه ، جلا وعلا ، أن يتحدث بهذه النعمة .

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن قوله ، جل علا : ﴿ وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ متضمنة لتخليص الأنفس من البخل ؛ لأن الله ، جل وعلا ، إذا
أمر العبد بالتحدث بهذه النعمة فتحدث بها البخل ، فإنه لا يستطيع أن يكتف ما عنده
من الأموال ؛ لأن من عادة البخل أنه يكون كئوما لما عنده من النعم ، فلا يظهرها ،
ولا يتحدث بها ؛ لئلا يسأله الناس (٢) .

وقيل : إن المقصود بالنعمة المذكورات في الآيات ، والتحدث بها شكرها
علميا من إيواء اليتيم كما آواه الله ، وإعطاء السائل كما أغناه الله ، وتعليم المسترشد
كما علمه الله ، وهذا من شكر النعمة ، أى كما أنعم الله عليك ، فتتعم أنت على غيرك
تأسيا بفعل الله معك .

وقيل : التحدث بنعمة الله هو التبليغ عن الله من آية وحديث ، والنعمة هنا
عامة لتكثيرها وإضافتها ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ،
أى كل نعمة ، ولكن الذى يظهر أنها فى الوحى أظهر أو هو أولى بها ، أو هو

(١) انظر : إيا حيان ، البحر المحيط ٤٨٢/٨ .

(٢) انظر : عبد العزيز السعيد ، المصدر السابق .

أعظمها إذن النعمة ما أنعم الله به على العبد ، وهى كل ما ينعم به العبد من مال وعافية وهداية ونصرة^(١) .

تأملات :

- نتأمل وصية الله بالإحسان إلى ذوى الحاجات ، خاصة اليتيم والسائل .
- نتأمل الإشارة إلى الدعوة إلى كفالة الأيتام ، أو بأى صورة من الكفالة .
- النهى عن القسوة بقوله (فلا تقهر) ؛ لما لها من آثار سلبية وعواقب وخيمة على حياة ومستقبل اليتيم .
- كان الآيات ترغب فى الكرم ونبذ البخل والشح .
- ليتأمل الإنسان ويتذكر أيام العسر والضيق ؛ لأنه مدعاة للشكر ، ومدعاة لمعاونة المبتلى .
- النعمة نعمتان نعمة دين ، ونعمة دنيا ؛ فكلاهما ينبغى التحدث عنهما بما أمر سبحانه .

لمسات بيانية^(٢) :

لماذا جاء ترتيب الآيات على هذا النحو ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

ذكر هذا الترتيب على هذا النحو ؛ لأن اليتيم ذكر أولا مقابل (يتيما) ، ثم ذكر (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) لأن السائل يشمل سائل العلم والمال وهنا أخذ بعين الاعتبار السائل عن المال والسائل عن العلم فهى إذن تكون مقابل ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ وأيضا ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ لأن السائل عن المال يجب ألا ينهر ، والسائل عن العلم يجب ألا ينهر أيضا ؛ وعليه فإن الآية جاءت فى المكان المناسب لتشمل الحالتين ومرتبطة بالاثنتين تماما .

(١) انظر : الشنقيطى ، المصدر السابق ٥٧٠/٨ - ٥٧١ بتصرف .

(٢) انظر : السامرائى ، المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ هي في انسب ترتيب لها فإن كان المقصود بالنعمة كل ما أصاب الإنسان من خير في الدنيا ؛ فلا يمكن أن نتحدث عن النعمة إلا بعد وقوعها وليس قبل ذلك . والآيات السابقة تذكر نعم الله على الرسول فافتضى السياق أن يكون التحدث بالنعمة آخرًا أي بعد حدوث كل النعم على الرسول ﷺ ، وإذا كان المقصود بالنعمة (الدين) فيجب أن يكون التحدث في المرحلة الأخيرة لأن على الداعية أن يتحلى بالخلق الكريم .

لماذا اختيار كلمة (فحدث) ولم يقل (فأخبر) ؟

إذا كان معنى النعمة (الدين) :

فالإخبار لا يقتضى التكرار يكفي أن تقول الخبر مرة واحدة فيكون إخبارًا أما التحدث فهو يقتضى التكرار والإشاعة أكثر من مرة ، وفي سياق الآية يجب أن يتكرر الحديث عن الدعوة إلى الله مرات عديدة ، ولا يكفي قوله مرة واحدة . ولهذا سمى الله تعالى القرآن حديثًا (فليأتوا بحديث مثله) فمعنى (فحدث) في هذه الآية هو المداومة على التبليغ وتكراره ، وليس الإخبار فقط ؛ فيمكن أن يتم الإخبار مرة واحدة وينتهي الأمر .

من لطائف وهداية الآيات :

- آداب التعامل مع الخلق ، خاصة من هم في حاجة إلى اللطف والبر .
- على المسلم ألا يرد سائلًا ، خصوصًا إذا جهل حاله .
- النهي عن القهر بالقول والعمل .
- الترغيب في الصدقة والإنفاق .
- التحدث بنعمة الله شكر .
- المسلم مطالب بالإحساس بمشكلات أخيه المسلم - الدلالة العامة للآيات تدل على أن السائل يمكن أن يكون سائل علم ، ومسترشدًا عن شيء فقده ، وسائل مال .

- التحديث بنعمة النبوة من جهة الرسول ﷺ ، تكون بالدعوة إلى الله عز وجل .
- الاعتراف بأصحاب الفضل والجميل .

خاتمة بأهم النتائج :

- وصف القرآن في كتاب الله الكريم بأنه نور ، وهدى ، وشفاء ، ورحمة ، وبشرى ، فكل وصف هو باعتبار معنى من المعانى ، والوحي المحمدي كان ضياءً ومشروقاً على قلب رسولنا وعلى أمته من بعده ، وقد يفتر الوحي لحكمة يقتضيها ربنا سبحانه وتعالى .
- فى السورة التى نحن بصددنا يحقق ويؤكد ربنا ، عز وجل ، أمر الوحي ، وأنه حق للأنبياء .
- قد يقسم سبحانه وتعالى بنفسه ، وقد يقسم بمخلوقاته .
- لا يقسم الله سبحانه إلا بمعظم .
- بيان قيمة وأهمية الوقت ظاهر من الآيات الكريمة .
- الله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وليس ذلك للبشر .
- السورة فيها من معانى الرحمة والحنان والعطف ما هو كفيلاً بمسح الأكم .
- تلمس العناية الإلهية التى أحاطت الرسول ﷺ .
- حب الله لرسوله ﷺ ظاهر فى قوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .
- بيان حال النعيم للرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فى الآخرة .
- إن الله عز وجل امتن على نبيه بما يعلمه من أحواله الخاصة .
- الأمر بالإحسان إلى اليتيم ، وعدم زجر السائل ، سواء 'يطلب المال أو العلم' .
- أمر الله عز وجل ، نبيه بالشكر لله على ما أنعم عليه من النعم .
- وجوب الثناء على الله بالتحدث عن نعمه وذكرها إن كان هناك مصلحة .
- التحدث بنعمة الله داع لشكره .

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أحاديث القصاص ، ابن تيمية ، تحقيق : محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٩٨٨م .
- ٣- إرشاد العقول السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- ٤- إضواء البيان فى إيضاح القرآن ، محمد الأمين الشنقيطى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٤١٥هـ .
- ٥- البحر المحيط أبو حيان الأندلسى ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ .
- ٦- بحر العلوم ، نصر السمرقندى ، تحقيق : محمود مطرجى ، دار الفكر بيروت .
- ٧- بصائر ذوى التمييز ، الفيروز آبادى ، دار إحياء التراث ، بيروت .
- ٨- التبيين فى أقسام القرآن ، ابن القيم ، دار الفكر .
- ٩- التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، ١٩٩٧م .
- ١٠- تذكرة الموضوعات ، محمد ظاهر الفتى ، دار إحياء التراث العربى ، ط٣ ، ١٩٩٥م .
- ١١- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ .
- ١٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازى ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢١هـ .
- ١٣- التفسير البيانى ، عائشة بنت الشاطى ، دار المعارف ، ١٩٩٠م .
- ١٤- تفسير المراعى ، أحمد المراعى ، المكتبة التجارية .
- ١٥- جامع البيان فى تأويل آى القرآن ، الطبرى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- ١٦- الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبى ، دار الشعب ، القاهرة .

- ١٧- الجامع الصحيح المختصر ، البخارى ، تحقيق : مصطفى السيد ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .
- ١٨- الدر المنثور ، السيوطى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- ١٩- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، الألوسى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- ٢٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد الألبانى، المكتب الإسلامى، ط١٩٨٥ ، ٤م .
- ٢١- سنن أبى داود ، سليمان الأزدي ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، دار الفكر .
- ٢٢- سنن الترمذى ، محمد عيسى ، تحقيق : أحمد شاکر وآخرون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- ٢٣- سنن النسائى (المجتبى) ، النسائى ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، دار المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
- ٢٤- سوانح وتأملات فى قيمة الزمن ، خلدون الأحذب ، الدار الشامية لطباعة والنشر ، ط١ .
- ٢٥- صحيح مسلم ، لمسلم النيسابورى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- ٢٦- صحيح مسلم بشرح النووى ، تحقيق : محمد فؤاد ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- ٢٧- صحيح أبى داود ، الألبانى ، مؤسسة غراس ، الكويت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
- ٢٨- الصحاح ، الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٩٠م .
- ٢٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، النيسابورى ، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
- ٣٠- الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، تحقيق . أبناء عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

- ٣١- الفوائد المجموعة ، الشوكاني ، تحقيق : المعلمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروط ، ط ٣٥ ، ٢٠٠٥ م .
- ٣٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣٤- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ .
- ٣٥- لمسات بيانية في بعض نصوص القرآن ، فاضل السامرائي ، دار عمار ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٣٦- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- ٣٧- معالم التنزيل ، للبغوي ، تحقيق : خالد العك ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٣٨- المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر الكوفي ، تحقيق : الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣٩- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي السامرائي ومحمود الصعدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٤٠- الوقت في حياة المسلم ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة .
- ٤١- الوقت هو الحياة ، عبد الستار نوير ، دار الثقافة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- المواقع الحاسوبية**
- ٤٢- صالح المغامسي ، دروس في (الدرة المضيئة على السيرة) لعبد الغني المقدسي ،
الدرس الأول .
- ٤٣- عبد العزيز السعيد ، تفسير سورة الضحى ، المكتبة الالكترونية .
- ٤٤- عبد الله الزبير ، ورقة في مقام النبي ﷺ والتعريف به وبحقوقه ، موقع المشكاة
الإسلامية .
- ٤٥- مجموع فتاوى ابن تيمية ، المكتبة الإسلامية ، موقع نداء الإيمان .

٤٦- محمد راتب النابلسى ، دروس من فقه السيرة النبوية ، موقع إذاعة القرآن نابلس
فلسطين .

٤٧- محمد فتح الله كولن ، أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ، موقع محمد كولن .

٤٨- نعيم الوافى ، نظرة بلاغية فى سورة الضحى ، شبكة التفسير والدراسات القرآنية ،
ملتقى أهل التفسير .

٤٩- همام الجرف ، مقالات شرعية ، موقع الألوكة .

* * *

